سادساً: لقد كشفت ازمة الخليج هشاشة الحركة القومية العربية. فما كان يسمّى بالحركة القومية العربية، كانت، في الحقيقة، فلسفة قومية يقودها فلاسفة يتحدّثون عن القومية العربية والوحدة العربية باعتبارها افكاراً طوباوية تبشيرية مجردة من حقائق الواقع؛ فلاسفة متطفّلون على الحركة النضالية الشعبية، متطرّفون شعاراتياً، قوميون بالكلمة واقليميون بالممارسة. والأمة العربية التي نظروا اليها، والوحدة العربية التي رسموا معالمها، لم تخرجا من صفحات الكتب والمجلات؛ وعليه لم يكن حالهما بأفضل من حال جمهورية افلاطون الفاضلة؛ وهكذا تحول مناضلونا، او من كنّا نعتقد بأنهم مناضلون، الى فلاسفة قابلين للتعامل مع كل الانظمة ومع كل من يدفع اكثر.

كما تجسّدت الازمة الحقيقية للحركة القومية السياسية العربية، ابّان ازمة الخليج، من خلال الموافقة السلبية لحركات ومثقفين كانوا يصنّفون بأنهم قوميون ـ وحدويّون ـ ثوريون، واذ بهم يهللون للحشود الغربية ولحرب التدمير ضد العراق؛ وبعضهم رفع شعار حق تقرير المصير للشعب الكويتي، الامر الذي يتنافى مع المفهوم العلمي ومع السياق التاريخي الذي ظهر به مبدأ حق تقرير المصير، ويتنافى مع الفكر القومي العربي، ذلك ان حق تقرير المصير ـ كما وضعت خطوطه الاولى في النقاط الاربع عشرة للرئيس الاميركي ويلسون في العام ١٩١٨ ـ مرتبط بفكرة القومية. فهو يُعطى للامم وليس لجزء من امّة؛ لأنه لو أُعمل داخل الأمة الواحدة لأصبح من حق كل جماعة ذات مصلحة، او ذات ارتباطات خارجية، ان تطالب بتطبيق مبدأ حق تقرير المصير، الأمر الذي يتنافى مع حقيقة ومرامي الفكر القومي، وفكرة الدولة القومية المتحدة.

ان الحقيقة التي اكدتها ازمة الخليج هي غياب حركة قومية عربية جماهيرية ملتحمة بالجماهير ومعبّرة عن تطلعاتها واهدافها؛ وان الحركات والتنظيمات والمثقفين والأنظمة القومية كانوا، في الواقع، يوظفون شعارات قومية وحدوية لخدمة مصالح نخبوية واقليمية، الامر الذي يحتّم دراسة علمية ـ اجتماعية ـ سياسية لبُنية الحركة القومية العربية حالياً، بل ولظروف نشأتها والجذور الاجتماعية والطائفية والسياسية لمؤسسيها، ولقادتها، خلال العقود الماضية، وعلاقة هذه الظروف والاصول باسلوب عمل الحركة القومية وبمواقفها في ظل التغيّرات العربية الدولية[١٥].

سابعاً: ان التحالفات ونقاط الالتقاء، او التقاطع، بين اطراف النظام الاقليمي الجديد، من عرب وعجم، تشكل تحوّلاً خطراً على المسيرة القومية العربية وعامل قلق على مصير الامة العربية المتطلعة الى الوحدة والاستقلال. ومن اهم هذه التحوّلات والتحالفات الداخلية زوال الفواصل الايديولوجية بين الانظمة العربية. فلم يعد، هناك، ولو على مستوى الشعارات، مجال للتحدث عن انظمة ثورية وانظمة محافظة، او عن انظمة قومية وانظمة اقليمية، وهو الامر الذي كان يتيح هامشاً للجماهير العربية للمناورة، والاستفادة من هذا التناقض، لتعطي لتطلعاتها ونضالاتها المصداقية والامل، ما دام هناك انظمة تبني شعاراتها ونضالاتها وتقف معها في جبهة واحدة، ولو على مستوى الشعارات.

لقد وضعت الانظمة الثورية والقومية نفسها في خدمة الانظمة المحافظة والاقليمية، او قبلت قواعد اللعبة التي تحدّدها هذه الاخيرة. فالتحوّل لم يكن لمصلحة «القومية» و«الثورية»، بل لمصلحة «المحافظة» و«الاقليمية».

أمّا على مستوى التحالفات الخارجية، فقد منح الغرب، وفي مقدّمه الولايات المتحدة الاميركية، «شهادة حسن سير وسلوك» رسمية من الانظمة العربية اهّلته للانتقال من معسكر «العدو» لفظاً و«الصديق» ممارسة، الى معسكر «الصديق والحليف» لفظاً وممارسة. بل أصبحت الولايات